

This file has been cleaned of potential threats.

To view the reconstructed contents, please SCROLL DOWN to next page.



جامعة المنوفية
Menoufia University
منارة المعرفة في قلب الحلتا



نحو بناء مفهوم "التربية الوجدانية" من منظور قرآني

إعداد

أ.م.د/ حسان عبد الله حسان
أستاذ أصول التربية المساعد
كلية التربية النوعية- جامعة دمياط

يعيش الإنسان المعاصر حالة من الاضطراب الوجداني والنفسي بصورة لم يشهدها إنسان القرون الفائتة، ويبدو أن المتغيرات المتلاحقة التي شهدتها البشرية منذ الثورة الصناعية في نهاية القرن الثامن عشر، وما تبعها في القرنين التاليين من تمكين للآلة في حياة الإنسان الاقتصادية والاجتماعية، وما ارتبط -في ظل ذلك- بالتنافس لتعظيم الثروات المادية للشعوب بالطرق اللاسلمية كالحروب والاستعمار، مما أدى إلى تزايد وتيرة العنف على مستوى البشرية بشكل عام.

ومن ناحية أخرى - وفي ظل هذا التمدد الاقتصادي والتكنولوجي - تراجع دور الأديان والعنصر الأخلاقي كمنظم لهذه التغيرات الحديثة، ومن ثم سيطرت النزعة المادية على حياة الإنسان المعاصر، وتزايدت الجرائم الاجتماعية وحالات الانتحار بصورة -أيضاً- غير مسبوقة. والشخصية العربية- جزء من هذا العالم المعاصر- وإن كانت غير فاعلة فيه إلا أنها تأثرت بالجوانب السلبية التي هيمنت على الإنسان المعاصر، حيث تعيش حالة من التشوه الوجداني بسبب عوامل عدة منها، الانغماس في وسائل تكنولوجيا الحداثة -عن طريق الاستيراد- وما بعدها بما حملته من الترويج لقيم المادية، والتي استجابت لها الشعوب العربية بصورة مولعة في التقليد والتغريب، في ظل غياب الحصون الوجدانية الذاتية لهذه المجتمعات (فاعلية الدين وأبعاده الاجتماعية والوجدانية والأخلاقية) ، وهو ما أدى إلى إصابات بالغة في وجدان الشخصية العربية على مستويات عدة، أفقدها القدرة على تحقيق التوازن في بنائها التربوي والثقافي. وقد أدى ذلك إلى أن تظهر في الواقع الاجتماعي أزمة جديدة هي أزمة الوجدان، وتبدو مظاهرها في جوانب عديدة، منها على سبيل المثال تشوه "التفضيلات الجمالية" في الشخصية العربية - وهو أحد أبعاد التربية الوجدانية - والذي نتج عنه انعكاسات ذات تأثير سلبي على سلوك هذه الشخصية فجعلها تقبل على القبح الأخلاقي والسلوكي بعناصره المختلفة: اللفظي والسمعي والبصري والحركي، بل وأصبحت الشخصية - في ضوء هذا التشوه الوجداني- تنتشد إلى هذا القبح وتنفرد من الجمال.

كذلك أيضاً فإن مؤسساتنا التربوية بدءاً من الأسرة والإعلام ومؤسسات التعليم يضعف فيها الاهتمام بهذا النوع من التربية "التربية الوجدانية"، وذلك في مقابل هيمنة تلقين المعلومات للتلاميذ على حساب البناء الوجداني والنفسي لهم.

وفي ذات الوقت طغى على الخطاب التعليمي العربي في العقد الأخير ما يتعلق بمتطلبات تحويل المدرسة والجامعة كمؤسسات تربوية أصيلة في بناء الإنسان العربي- إلى مؤسسات ترعى الجانب العقلي والمادي الإنسان، فركزت الأدبيات التربوية خلال هذا العقد المنصرم (٢٠٠٧-٢٠١٧) على ما عُرف بمشروع الجودة الذي تعامل مع التلميذ والمعلم باعتبارهما (عناصر) في مؤسسات صناعية مادية، وليس كإنسان في مجتمع، فمن بين الملفات العديدة لهذا المشروع لا يوجد ملف للبناء الأخلاقي أو الروحي أو الوجداني أو الديني بصفة عامة، على الرغم من أهمية هذه الجوانب في بناء الشخصية المتكاملة للإنسان العربي.

وتسعى الورقة المقترحة -الحالية- إلى طرح تصور لبناء مفهوم "التربية الوجدانية من منظور قرآني"، حيث يُعد القرآن أحد المصادر الرئيسة في الثقافة العربية ومن خلاله يمكن بناء

مفهوم للتربية الوجدانية، فالقرآن كتاب هداية بالأساس، هداية العقل وهداية الوجدان، أما الأولى - هداية العقل - فتتحقق عن طريق النظر والتأمل والإدراك والاستنتاج، وباقي العمليات العقلية التي تثبت واحدية الله ووحديته، وأما الثانية - هداية الوجدان - فتتحقق عن طريق مسارين، الأول: التخلية، ويقصد بها التخلي عن كل ما علق بالفطرة الإنسانية وران عليها، من حب الأثرة وفعل المنكرات والشور والأثام، والنزوع إلى الأرض بكل ما في هذا النزوع من نسيان لحقيقة الإنسان وحقيقة رسالته على الأرض أو بلفظ القرآن "التدسية" ﴿خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ١٠]، أما المسار الثاني فهو: التخلية، ويقصد بالتخلية غرس الفضائل وتهذيب النفس حتى تتزكى أو بلفظة القرآن ﴿أَقْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ [الشمس: ٩].

تضمن القرآن الكريم أحوال النفس في كثير من جوانبها الوجدانية سواء ما اتصل بها من حالة الخسران أو "التدسية" ليحذر من الوقوع فيها ويبين آثارها على الفرد وعلى المجتمع، أو ما يتعلق بحالة فلاح النفس وتزكيتها ليدعمها ويذكر آثارها على الفرد والمجتمع. ومن ناحية أخرى فإن موضوع القرآن هو "النفس الإنسانية" لإعدادها لرسالتها ووظيفتها الإلهية على الأرض وهي الاستخلاف من الله لتحقيق مقاصد الله في الخلق وهي: التوحيد والتركية وال عمران، وهذه المقاصد الثلاثة مرتكزات رئيسة في بناء وجدان المسلم على مستوى الفرد والجماعة.

وتهدف هذه الورقة إلى "استعادة مركزية القرآن في بناء المفاهيم والتصورات التربوية التي تتعلق ببناء الإنسان المصري والعربي"، وذلك في ظل تغيرات ثقافية واجتماعية متعددة تستهدف ذلك البناء، وفي ظل واقع اجتماعي يزخر بالعديد بالاضطرابات النفسية والاجتماعية بما هدد بالفعل السلام النفسي والاجتماعي في نفس الوقت، وتبدو أهمية البحث في المنظور القرآني للتربية الوجدانية والتأصيل له، لما لهذا البعد من أهمية في حركة الإنسان وفاعليته الاجتماعية والحضارية والكونية.

إن التربية الوجدانية ذات علاقات متعددة بباطن الإنسان وظاهره، أو بمعنى آخر يمتد تأثير "التربية الوجدانية" وعملها وفعاليتها من داخل الإنسان إلى خارجه، وكما تنعكس على ادراكات الإنسان الداخلية، فهي كذلك تنعكس على سلوكيات الإنسان الخارجية على أساس المنظور المتكامل للإنسان، كما في المنظور القرآني الذي يرى الإنسان جملة واحدة مهما تعددت جوانب شخصيته.

وفي ضوء ما سبق .. يقوم هذا التصور المقترح لبناء مفهوم "التربية الوجدانية من منظور قرآني" على المحاور المعرفية التالية:

١. الضرورات المعرفية لبناء مفهوم "التربية الوجدانية"

ويعالج هذا المحور مكانة التربية الوجدانية في بناء الشخصية ضمن الجوانب الأخرى التربية العقلية والاجتماعية والجسدية والثقافية، والعلاقة بين التربية الوجدانية وبين هذه الجوانب، والانعكاسات والتأثيرات للتربية الوجدانية على بناء الشخصية العربية بناء متكاملًا ومؤثرًا وفعالًا. كما يهتم هذا المحور بالوقوف على أهم التداعيات على الشخصية العربية والمجتمع العربي نظير غياب التربية الوجدانية وفعاليتها في واقع الإنسان والمجتمع العربي. وينتمثل ذلك في

التشوهات السلوكية بمظاهرها المختلفة في هذا الواقع والذي يرد في أغلبه إلى غياب البعد النفسي والوجداني الفاعل في بناء تلك الشخصية المعنى بها هذا المؤتمر وتلك الورقة.

٢. الفضاء اللغوي والمعجمي القرآني لمفهوم "التربية الوجدانية"

تمثل اللغة عنصراً مهماً في بناء المفهوم، لاسيما للغة القرآنية أو المفردة القرآنية، وذلك لأنها تحمل في ذاتها من المضامين والقيم التي تتسم بالثبات في أغلب الأحوال، كما أنها تحمل المعنى، والمراد والمقصد، ويعالج هذا المحور الفضاء اللغوي والقرآني لمفهوم "التربية الوجدانية"، وذلك من خلال تفكيك المفهوم إلى قسمين الأول: يهتم بالبحث في المنظور القرآني للتربية، والثاني متعلقات الجانب "الوجداني" لفظاً واصطلاحاً في اللغة والقرآن. ويكون اعتماد الباحث هنا على المعاجم اللغوية، ومعاجم الألفاظ القرآنية، من أجل الخروج بمقاربة مفاهيمية مبدئية حول مفهوم "التربية الوجدانية"، بما يضمن سلامة السير المنطقي للعمل البحثي.

٣. سيرة المفهوم في الدراسات التربوية العربية والمعاصرة

يحاول هذا المحور تتبع سيرة مفهوم "التربية الوجدانية" في الدراسات العربية والدراسات الغربية المعاصرة، وذلك للوقوف على أهم اتجاهات التعامل مع ذلك المفهوم، ومحددات النظرة إليه، والتداخلات بين هذا المفهوم ومفاهيم أخرى - إن وجدت - مثل مفاهيم التربية الروحية، والتربية الجمالية، والتربية الأخلاقية وبيان المشتركات والخاص والجنس والحد فيما بينها، وكذلك التمايزات والاختلافات. كما تهدف هذه الخطوة أيضاً إلى الوقوف على هوية المفهوم ومصدره ومرجعته الأكاديمية والبحثية.

٤. مفهوم التربية الوجدانية في التراث الإسلامي

التراث الإسلامي أحد التفسيرات المهمة للمنظور القرآني، وقد تناولت عدد من الآراء في التراث التربوي الإسلامي موضوعات تقترب من التربية الوجدانية، وفي هذه الخطوة نسعى إلى تحليل أهم الكتابات التي تناولت الجانب الوجداني في النفس الإنسانية، ومن هذه الكتابات على سبيل المثال: الصداقة والصديق لأبي حيان التوحيدي، وتهذيب الأخلاق وتهذيب الأعراق لابن مسكويه، وتهذيب الأخلاق للجاحظ، والأدب المفرد للبخاري، والنفس والروح لزرقي الرازي، وبيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب للترمذي. وفي هذه الخطوة يمكن الوقوف على تحديد لمفهوم الوجدان من وجهة نظر التراث، وتحديد المنطلقات التربوية في التراث للتعامل مع الجانب الوجداني في الإنسان، وأهم الأمراض والأفات التي تصيب الوجدان وطرق المعالجة والشفاء.

٥. الرؤية الكلية التوحيدية وبناء مفهوم "التربية الوجدانية"

يستمد مفهوم "التربية التوحيدية" - في المنظور القرآني - مقاصده ومضامينه من الرؤية الكلية التوحيدية، التي يرسمها القرآن للمسلم باعتبارها الموجه الأساس لحياته الدنيا، فالتوحيد هو المثل الأعلى عند الإنسان المسلم، وهو الذي تتمحور حوله غايته الكلية والكبرى، وأهدافه الجزئية، وهو الذي يدفع المسلم إلى تحويل طاقته إلى العمران والبناء مشيداً حضارة إنسانية تستوفي شروط "الخير" و"المعروف" و"الصالح" و"الاستقامة". فغاية المسلم المتجه إليها هي ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَادِحًا فَمَلَأْتِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦]. فهذه الآية تضع المسلم أمام حقيقة

"التوحيد" أو "المثل الأعلى" الذي يجب أن يملأ جنبات كل إنسان -بصفة عامة - والمسلم بصفة خاصة. فإله الواحد هو الذي نسير إليه جميعاً منذ لحظة الميلاد حتى الوصول إليه. وهو ما يجب أن تنتشعب به النفوس والوجدان الذي يحرك الطاقات الإنسانية ويشعل فيها جذوة الحركة والعمل للوصول إلى الغاية الكبرى.

والتوحيد ليس مجرد أصل عقدي تقوم عليه العقيدة - فحسب - ولكنه يمثل قلب تلك العقيدة ويمثل المبدأ الذي تنبثق عنه، والتوحيد - أيضاً - نظاماً وروية: نظاماً لحياة الإنسان ومعاده ومعاشه، وروية للكون والحياة. وهذا هو ما نقصده بالرؤية الكلية التوحيدية أي عطاءات فكرة التوحيد في مجالات التصور الأساسية نحو: الخالق (الله)، والإنسان، والكون.

٦. مقاصد "التربية الوجدانية" في القرآن: التوازن الوجداني نموذجاً

إن أحد أهم مقاصد التربية الوجدانية القرآنية هو تحقيق التوازن الوجداني للإنسان وتجنبيه الحرف والانحراف الوجداني، أو تحقيق الاستقامة الانفعالية للإنسان "فلا يميل كل الميل" ومن هنا يضع القرآن قاعدة للمسلم مفادها التوازن بين الفعلين النقيضين اللذين يرتبط بهما الحالة الوجدانية للإنسان وهما حالة الحزن على الفوات، وحالة الفرح بما هو آت، ويدعو القرآن إلى تحقيق التوازن فيهما- أي في الحالتين- لاسيما وأن حياة الإنسان -من حيث هو كونه إنساناً- تمتزج بهذين الحالتين "الحزن، والفرح، فيقول تعالى {لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ} [الحديد: ٢٣]. وهذه الخاصية "التوازن" جزء/صفة للكون كله الذي أبدعه الخالق سبحانه وتعالى، توازن في النفس الإنسانية التي خلقها من "طين، وروح" وتوازن في الطبيعة في مكوناتها للحياة والعيش الصالح والنافع،..وهو ما يحتاج إلى ربط هذا المفهوم بالرؤية الكلية للمسلم وتصوره بصورة عامة.

٧. مقومات التربية الوجدانية وركائزها في القرآن: الدعاء نموذجاً

يمثل الدعاء قيمة كبيرة في بناء الإنسان المسلم وتكوينه الوجداني، وإن عدم إدراك أهميته في ذلك التكوين يؤدي بلا شك إلى خلل واضطراب في شخصية المسلم، وفي أحواله الوجدانية وعلاقاته الأرضية والإلهية، إن الوشيجة التي لا تحتاج إلى تهيب أو مكان أو حالة أو وقت كي يتصل المسلم بعالم الغيب (الله تعالى) هو الدعاء، إن انشداد الإنسان المسلم إلى عالم الغيب - وتهيئة نفسه وروحه وعقله لهذا الانشداد- يمثل نقلة نفسية مهمة تساعد على الارتفاع بحالة الإنسان من الطينية الكاملة إلى الروحية الكاملة، ينفذ فيها الإنسان -في هذه الحالة- كل أدران، وكل ما ران وما علق به وأحدث له الاضطراب الوجداني.

وفي هذه المحور يمكن درس المسارات الفكرية والتربوية التالية:

- أقسام الدعاء وفقاً لمرجعياته (القرآن، السنة، أدعية الصحابة، أدعية آل البيت، التابعين (...)
- المضامين التربوية الوجدانية للدعاء وفقاً للأقسام السابقة (نماذج مختارة).
- القيم الوجدانية التي يتضمنها الدعاء.
- منهجية البناء الوجداني للشخصية الإنسانية من خلال الدعاء.
- المدارس التربوية للدعاء في الإسلام.

٨. مسارات تشغيل مفهوم "التربية الوجدانية" من منظور قرآني
يهدف هذا المحور إلى البحث في كيفية تشغيل مفهوم " التربية الوجدانية" - بعد أن يتم البناء المعرفي من خلال المنظور القرآني- والمقصود بالتشغيل هنا تحديد مسارات عمل المفهوم وتضميناته التطبيقية، ومجالات عمله المقترحة مثل: مجال فلسفة التربية العربية وأهدافها، ومجال المناهج، ومجال النشاط التربوي، ومجال الإعلام، وغير ذلك مما يمكن أن مسار عمل تطبيقي وعملي لهذا المفهوم .

والله من وراء القصد..